المحاضرة الأولى: معنى الفلسفة وخصائصها

١- تعريف الفلسفة، وتشمل:
أ- أول تعريف للفلسفة.
ب- تعريف طاليس للفلسفة.
ت- تعريف المستعربين والمستغربين للفلسفة.

٢- خصائص الفلسفة الإسلامية، وتشمل:
أ- فلسفة مهجنة.
ب- فلسفة إلهية الطابع.
ت- التفاعل الإيجابي والانفتاح.
ث- خاصية النمو والتجدد.
ج- تعددية المناهج ومفهوم جديد للعلم.
ح- الانعطاف نحو العلوم الاجتماعية والإنسانية

معنى الفلسفة

أولاً: تعريف الفلسفة:

١- أول تعريف للفلسفة وصل إلينا هو أن الفلسفة تعني: (حب الحكمة) وهي مأخوذة من الأصل اليوناني (فيلو) وتعني الحب أو الرغبة، و (سوفيا) وتعني الحكمة.

٢- عرفها الفيلسوف اليوناني (طاليس) بأنها: (معرفة أصل الأشياء)، بمعنى أن الفلسفة تبحث عن أصل الكائنات ومصيرها.

٣- وعرفت أيضا بأنها: (مجموعة أفكار متناسقة ومنسجمة، تعبر عن أيديولوجيا معينة في جوانب مختلفة: أخلاقية وسياسية واقتصادية وجمالية ...، والايدلوجيا تعني: النظام الفكري المجرد لتفسير الطبيعة والمجتمع والفرد.

٤- وعرفها المستعربين أو المستشرقين من الغرب أو الشرق، المشتغلين بها والقائمين على تدريسها بأنها: (ذلك التراث الفلسفي الذي أفرزته القريحة الفلسفية الاسلامية، في فترة من أعظم فترات ازدهارها الحضاري، وتفاعلها الخصيب المفعم بالنشاط والحيوية مع غيرها من الحضارات العظمى، التي كانت آثارها سائدة آنذاك، خاصة الحضارة اليونانية).

والذي نخلص إليه مما سبق أن الفلسفة: (حب عميق في نفس الإنسان لمعرفة خفايا الأشياء وأسبابها).

ثانياً: الخصائص العامة للفلسفة الإسلامية:

الفلسفة الإسلامية وكما عرفت سابقاً، وهي الفلسفة المدرسية الأكاديمية التي تدرس في الجامعات في الوطن العربي والإسلامي وكثير من الجامعات العالمية، تتميز بالخصائص التالية:

١- **أنها فلسفة مهجنة:** ونقصد بذلك أنها مزيج من الأفكار الإسلامية واليونانية فالعرق الفلسفي اليوناني فيها أوضح من أن ينكره المنكرون، ولقد تأثر الفلاسفة الإسلاميون من الكندي وحتى ابن خلدون- آخر لمعة في العقل الفلسفي الإسلامي- تأثروا بدرجات متفاوتة بهذا العرق الفلسفي اليوناني.

٢- **فلسفة إلهية الطابع:** ونقصد بذلك أن مبحث الذات الإلهية وأدلة وبراهين وجود الله تعالى وكيفية الصلة بين الله والعالم من جهة، وبين الله والإنسان من جهة أخرى، وهذه الخاصية واحدة من أهم وأبرز مباحثها، ولقد خصص الفلاسفة الإسلاميون من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وأبي البركات البغدادي- رحمهم الله-، خصصوا صفحات كثيرة للكلام عن صفات الله تعالى وصلته بالوجود، ولعل أبرز مثال للجانب الإلهي في الفلسفة الإسلامية هو الغزالي- رحمه الله-، وكذلك ابن خلدون وإن جاءت فلسفته مزيجاً من الإسلامية والعلمانية المادية، برغم ادعاء بعض الدارسين أنها كلها ذات صبغة إسلامية خالصة.

٣- **التفاعل الإيجابي والانفتاح:** لعله من الخصائص التي تجعل من الفلسفة الإسلامية كائناً حياً شديد التأثير فيما حوله، تلك الخاصية الإيجابية التي تجعل منها كائناً متصل الجسور بالتراث الفلسفي الإنساني أينما وجد، ولئن تأثرت الفلسفة الإسلامية بالتراث الفلسفي اليوناني أكثر من غيره، فذلك للخصائص الذاتية لذلك التراث والتي تجعله مؤثراً أكثر من غيره، ونقصد بذلك خصائص العقلانية والعلمية والموسوعية، ولكن الفكر الفلسفي الإسلامي تأثر ايضاً بفارس والهند، خاصة في مجال علوم الرياضيات، وكذلك التصوف والفلك والأخلاق والفكر الفلسفي الديني.

وكما تأثرت الفلسفة الإسلامية بالحضارات السابقة لها، فإنها كذلك أثرت أبلغ الأثر في الحضارة الغربية التي جاءت بعدها، خاصة في مجال المناهج والعلوم، وفي مجال الفلسفة الاجتماعية والقانونية، وفي مجال الحضارة بوجه عام، وما ذلك إلا لأن روح الفلسفة الإسلامية روح علمية موضوعية، قال- ﷺ-: ((الحكمة ضالة المؤمن))، وجاء في الأثر: ((خذ الحكمة لا يضيرك من أي وعاء خرجت)).

٤- **خاصية النمو والتجدد:** فالخصائص السابقة وخاصة خصائص التجريبية والتفاعل الإيجابي الموضوعي والجانب الإلهي فيها تتيح للفلسفة الإسلامية مجالات كثيرة، واتجاهات شتى للنمو والتنوع، وعليه فليست الفلسفة الإسلامية مجرد تراث اكتمل نموه وتوقف تطوره، ولكنه كائن حي نابض، يستعصى على عوامل الفناء والجمود والاضمحلال، ولهذا السبب فإنه وبالرغم من الأفول المؤقت لحركة الحضارة الإسلامية في مجملها فقد ظلت الفلسفة الإسلامية تمتد وتؤثر، وكان امتداد تأثيرها في أوربا على يد أبي الوليد ابن رشد وابن خلدون مثلاً، في ظروف كانت الحضارة الإسلامية تمر فيها بمرحلة أزمة واضمحلال، وإن فكر ابن خلدون وفكر الغزالي خاصة في مجال الأخلاق والتصوف ما زال إلى اليوم يمتد تأثيره إلى بقاع جديدة من العالم، تشهد بذلك حركة الترجمة النشطة لأعمال الغزالي- رحمه الله- في كل لغات العالم يوما بعد يوم، كم تشهد بذلك الاهتمام المتزايد بالدراسات القرآنية والدينية الإسلامية في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية مؤخرا.

٥- **تعددية المناهج ومفهوم جديد للعلم:** لعله من الواضح الجلي لكل دارس متأنٍ للفلسفة الإسلامية أنها كانت تزخر بالجديد في مجال المنهجية من أول وهلة، يظهر هذا جلياً ضيق الكندي بنظرة اليونان إلى فكرة اللامتناهي، ومن هنا جاء رأيه الذي لا يكاد يعرف الكلل أو الملل في إعطاء الدليل تلو الدليل، لتناهي الزمان والمكان والأجسام والحركة والكون كله ... تناهي كل شيء في هذا الوجود، وهكذا افتقاره لعلة غير متناهية، لأن ما كان متناهياً كانت له بداية في الزمان والمكان وفي الجسمانية والمادية، ولذلك كان محدثا وليس أزلياً، وما كان محدثا لا بد له من محدث، وهو الله تعالى الأزلي المتفرد اللامتناهي في الذات والصفات والأفعال.

وبلغت هذه المنهجية- في التصوف الفلسفي- كمالها عند أبي حامد الغزالي- رحمه الله- وذلك في اعتباره أن: (ما يأتي من الحس الباطن المتحقق والذي لا يتناقض لا مع الشرع أو العقل أو الواقع) معرفةً أو علماً لدنيا يقينياً، ومفهوم العلم اللدني- بهذا المعنى عند الغزالي- إنما هو امتداد للغواشي النورانية عند ابن سينا والتي تنقدح في القلب متى أصبح كالمرآة المجلوة بعد الارتياض الصوفي الناجح.

ولكن الغزالي- رحمه الله- بالطبع وضعها على أساس متين من نظريته العامة في التصوف والأخلاق، وبين أصولها في القرآن والسنة، ضمن فلسفة نورانية قرآنية مكتملة الأركان متينة البنيان.

٦- **الانعطاف نحو العلوم الاجتماعية والإنسانية:** ومن خصائص الفلسفة الإسلامية هذا الاهتمام الواسع المترامي بالشؤون الاجتماعية والسياسية والإنسانية، ولا شك أن بذور هذا الاتجاه في الأخلاق والسياسة موجود أصلاً في الفلسفة اليونانية، ولكن وتعبيراً عن اهتمام الإسلام الكبير بالجوانب الاجتماعية والإنسانية، واعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الفكر والدين والعقيدة، فإن الفلسفة الإسلامية ومنذ اهتمام الفارابي بالمدن الفاضلة وأضدادها من المدن الجاهلة والفاسقة والمتبدلة أخذت في إعطاء حجم أكبر للعلوم الإنسانية.

وجاء الغزالي- رحمه الله- وكان الجانب الأكبر من مجهوده الفكري والفلسفي متوجهاً إلى الإنسان والمجتمع، وإلى علوم الآخرة وهي العلوم الأكثر نفعاً في رأيه، وجاء اهتمامه ايضاً بالقلب وأحواله، وبالنفس وبالأخلاق والتصوف وعلوم الدين في إطار دينامي متوهج الحرارة في اهتمامه بمصير الإنسان ومصير النفس الإنسانية الأبدي، وأخذت العلوم النظرية تحتل مسافات أقل وأقل، وبينما أخذت العلوم الاجتماعية كفلسفة الاجتماع وفلسفة التاريخ والدين والأخلاق واللغة تأخذ نصيباً أكبر.

وختاماً: أن الفلسفة الإسلامية تمثل جانباً عقلياً مهماً من التراث الفكري الإسلامي، ويرتكز هذا الجانب في الفلسفة الإسلامية بوجه رئيسي في المنهجية التي انتهجها فلاسفة الإسلام، في بناء ذلك الصرح العظيم الذي شيدوه في شتى جوانب المعرفة والفكر، وعندما نقول: فلاسفة الإسلام فنحن نضم إلى هؤلاء ليس فقط الفلاسفة الرسميين من أمثال: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، ولكننا أيضاً نضم إليهم المتكلمين وبناة المنهجية العلمية الدقيقة، من أمثال: جابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، والبيروني، والخوارزمي، ومئات الأسماء الأخرى من الذين أسهموا في إثراء التراث العلمي الإسلامي في شتى مجالاته، بل إننا أيضاً نضم إليهم فلاسفة النحو واللغة من أمثال: سيبويه، والخليل بن أحمد، والفيروز آبادي، وابن جني، وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم.